[ 202 ] وإيجاد الأعضاء الظاهرة والباطنة وتقدير منافعها من لسان لافظ وبصر لاحظ وقلب حافظ، ثم هدايتك بإرسال الرسول وإنزال الكتاب إلى المقامات العالية في الدار الباقية وما يعود إليك مما لا يعرف أحد قدره ولا يدرك وصفه لتفهم معتبرا وتصير مزدجرا وتنتقل إليه انتقالا من رحم هذه الدار وتسكن مع روح وراحة وسرور في منازل الأبرار، وأمثال هذه الامور التي صنعها بك وإن لم يمكنك أن تعرف كلها على التفصيل كيف وقد قال بعض المحققين إظهارا لعجزه: إني كتبت أزيد من ألف ورقة في تشريح الأعضاء وبيان منافعها (1) وبعد لم أذكر وصف قطرة واحدة من بحر إحسانه وإفضاله تعالى شأنه ؟ ولكن بحكم ما لا يدرك كله لا يترك كله ينبغي لك أن تصرف العمر في معرفة قدر يمكنك الإحاطة به بعون ا تبارك وتعالى. (والثالث أن تعرف ما أراد منك) من الإتيان بالطاعات والانتهاء عن المنهيات والإقرار بالرسول الأمين والأئمة الطاهرين والملائكة المقربين والكتاب المبين والاتصاف بالشجاعة والعفة والحلم والصبر والشكر والتوكل والرضا إلى غير ذلك من محاسن الأخلاق التي نطقت بها الشرائع النبوية. (والرابع أن تعرف ما يخرجك من دينك) مثل التهور والشره والغضب والحسد والكفر با وبرسوله وأئمته وملائكته وكتبه ورسله وإنكار الصلاة والزكاة والصوم والحج إلى غير ذلك من رذائل الصفات والأخلاق ومقابح العقائد والأعمال. وملخص القول في هذا الحديث: أن الإنسان في أول نشوئه إلى نهاية عمره سائر إلى ا تعالى فوجب عليه أن يعرفه أولا لأنه المقصد في هذا المسير وأن يعرف ما صنع به، لأن تلك المعرفة تبعثه على زيادة الرجاء والشوق إليه وأن يعرف ما يعينه في طريقه وينفعه عند الوصول إلى مقصده ويوجب القرب منه ليحمله معه وأن يعرف ما يضله عن طريقه ويضره عند الوصول إلى الغاية ويوجب البعد من المقصد ليرفضه عن نفسه لكن بتوسط استاذ مرشد وعالم مسدد وإمام مؤيد من عند ا تعالى، لأن العقول الناقصة لا تستقل بمعرفة الرب وصفاته وقوانين الشرع (2) بدون الرجوع إلى الشارع ومن نصبه، ولذلك أخطأ كثير من العلماء

_____ 1 - وألف في زماننا كتب في التشريح ومنافع الأعضاء أكثر من ألف ورقة أيضا في بلاد الافرنج، ولا أظنهم بلغوا شيئا، والعجب من بعضهم حيث رأوا عجائب صنعه تعالى فصرفهم النظر في الصنع عن التفكر في الصانع فلم يؤمنوا با الحكيم. (ش) 2 - الجمع بين كلامه هنا وما سبق من تعظيم مقام العقل والأمر بالاتكال عليه أن العقل حجة من حجج الرحمن ولكن ليس مستغنيا عن التعلم، وكما يحتاج المهندس إلى قراءة كتاب اقليدس ولا يمكن أن يتنبه لما فيه بفطنته كذلك يحتاج العالم الروحاني

والحكيم الإلهي إلى الرجوع إلى الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) ليهتدي عقله في اصول المعارف إلى الحق وإن كان يأخذ عنهم الفروع تعبدا. (ش) (*)

---